جامعة المنصورة
كلية التربية

# أثر البداوة في المضمون الشعرى عند الطِّرمَّاح بن حكيم (ت١٢٥هـ)

إعداد
زينب زكريا سراج الدين السعيد

إشراف

أ.د/ رزق المتولي رزق أحمد
أستاذ النقد الأدبي القديم بقسم اللغة العربية
كلية التربية-جامعة المنصورة

د. حازم أحمد حسن سليط
مدرس النقد والبلاغة بقسم اللغة العربية
كلية التربية-جامعة المنصورة

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة
العدد ١٢٨ – أكتوبر ٢٠٢٤

# أثر البداوة في المضمون الشعرى عند الطِّرمَّاح بن حكيم (ت١٢٥هـ)

زينب زكريا سراج الدين السعيد

**المقدمة**:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث هادياً ومبشراً ورحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

**وبعد ...**

إن التجاوب العميق بين الشعراء وبين البيئة العربية وأحداث تاريخها قد عبر عنه العرب بعبارة موجزةٍ مكثفةٍ؛ فقال بعضهم بأن (الشعر ديوان العرب)؛ فنجد على صفحات هذا الديوان ما يؤكد هذا الارتباط وذلك التجاوب.

وعلى كل حال فإن الأثر الذي تركته البيئة في الأدب لم يكن على درجات متساوية ؛ وإنما كان أثرها متفاوتاً تبعاً لاستجابة الفنان وتفاعله وقوة التأثير؛ إذ إن الأحداث تشير إلى مثل هذا التفاوت في الاستجابة، فقد عرفت بعض الأوساط بالاندفاع مع الحياة الجديدة أكثر من البعض الآخر؛ مما يقتضي ظهور أثر هذه الحياة في فنون الأدب بدرجات متفاوتة؛ بل في الفن الواحد.[1].

**أسباب اختيار الموضوع:**

لقد أثارتني هذه الظاهرة في شعر الطرماح عندما تأملت أشعاره، ومن ثم فقد اتخذت من شعره وجهةً لتأملي، وموضوعاً لبحثي؛ رغبة في تقصي أبعاد هذه الظاهرة، ومعرفة بواعثها ومظاهرها وآليات التعبير عنها.

**تساؤلات البحث**

تستند الدراسة على تساؤل رئيس هو: ما أثر البداوة في المضمون الشعري عند الطرماح بن حكيم؟، وقد استدعى هذا التساؤل تساؤلات فرعية هي:

١- ما أثر البداوة في العادات والتقاليد الاجتماعية في شعر الطرماح بن حكيم.

٢- ما مدى تأثير البداوة في النواحي السياسية في شعر الطرماح بن حكيم

٣- ما مدى تأثير البداوة في ألفاظ الطبيعة الصحراوية في شعر الطرماح.

**مادة الدراسة**:

تتمثل مادة الدراسة فيما صدر عن الطرماح في ديوانه، وسوف أعتمد على الديوان الذي حققته الدكتورة عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

**منهجية البحث**:

ترى الباحثة أن استخدام المنهج الوصفي هو أصلح المناهج لدراسة البداوة عند الطرماح

**خطة البحث**:

قد جاء تقسيم البحث تلبية لخطته وأهدافه، حيث تضمَّن مقدمة، وتمهيداً، ومبحثين رئيسين، تليهما خاتمة، تجمل نتائجه.

---

(١) يُنظر مقدمة ديوان عمر بن أبى ربيعة ، تحقيق محمد محي عبد الحميد، دار الأندلس، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٢، الجزء الأول، ص١٨٨ .

**المقدمة**: احتوت على أهمية الموضوع، والأسباب التي دعت إلى دراسته، وتساؤلاته، ومادته، ومنهج دراسته، وخطته ومحتواه.

**التمهيد**: تتضمن حديثاً عن الطرماح وسيرة حياته، وبيان مفهوم البداوة بين الدلالة اللغوية والاصطلاحية.

**المبحث الأول: أثر البداوة في البيئة الاجتماعية والسياسية.**

**المطلب الأول: أثر البداوة في العادات والتقاليد الاجتماعية** (الكرم – الشجاعة - الفروسية - النظام القبلي).

**المطلب الثاني: أثر البداوة في النواحي السياسية** (وصف الحروب وساحات القتال- ذكر أيام العرب).

**المبحث الثاني: أثر الطبيعة الصحراوية البدوية:**

**المطلب الأول: الطبيعة الجغرافية** (الأطلال – الديار- الفلوات – الجبال- أرضها – ماؤها – نباتها – مناخها – فصولها)

**المطلب الثاني: أثر البداوة في صورة إنسان الصحراء** (الشاعر الفارس – صورة المرأة وطيف الخيال في غزله البدوي – وصف مشاهد الصيد في الصحراء)

**المطلب الثالث: حيوان الصحراء** (الناقة – الحمار الوحشي – الثور الوحشي – الكلب – الذئب – الظليم – القطا – حيوانات أخرى)

**التمهيد:**

**أولا: الطرماح بن حكيم (موجز حياة)**

شاعر الدراسة هو "الحكم بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جَحْدَر بن ثعلبة بن عبد رُضا بن مالك بن أمان بن عمرو بن ربيعة بن جرول بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طيء". [1]

والطرماح لقبٌ عُرِفَ به الشاعر، حتى غلب على اسمه الأصلي، فاشتهر به منذ القديم، وقد استعمله في شعره، فقال: [2]

**أنَــا الطَّرمَّــاح، فاسْــأل بــي بَنِــي ثُعَــلٍ  قــومِي إذا اخْــتَلَط التَّــصديرُ بالحَقَــبِ**[3]

---

(1) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت٤٥٦)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق:عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٦٢م، ص٤٠٣.
والقرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب: جمهرة أشعار العرب، تحقيق: علي الفاعوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٨٦،١م، ص٤٥٧.
والجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ج١، ط٤، ١٩٤٨، ص٤٦.
وابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ج٢، ١٩٥٨م، ص٥٨٥.
والبغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٢، ط٢، ١٩٨٩م، ص٧٤.

(2) ابن حكيم، الطرماح، ديوانه، تحقيق: د/عزة حسن، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت ،١٤١٤ه، ١٩٦٢م،ص٥٣ .

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، (ت٧١١ه)، لسان العرب، اعتناء: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مادة (طرمح).
والكلمة بمعنى الطويل المرتفع، ثم أطلق مجازاً على الرجل الذي يرفع رأسه زهواً.

أما عن شخصية الطرماح، فيمكن القول بأنها تتميز بمعايير تقليدية متأثرة بحياة الصحراء والبدو، أكثر من تأثرها بالواقع الحضري الجديد، فتجسدت فيها معالم الحياة الصحراوية ومفاهيمها؛ من حيث الإيمان بالقبيلة، والانتماء لها، ورفعة النسب، وتمجيد القوم والسلطان، والقدرة على الأخذ بالثأر والبطش بالأعداء، وغيرها من الأمور التي تتصل بالمجتمع القبلي البدوي، وكل ذلك يؤكد على تأثره بالحياة الصحراوية.

أما عن شعره فشغل الطرماح في شعره بالفخر والهجاء ، فكان لهذين الغرضين أكبر نصيب من ديوانه، والفخر والهجاء متلازمان في شعره، لا يكاد أحدهما ينفصل عن الآخر في معظم قصائده،[1] والعصبية القبلية هي التي تثير الطرماح مفتخراً هاجياً معاً في أغلب الأحوال.

وتتجلى البداوة بشكل لافت للنظر في شعر الطرماح؛ حيث أنَّ " الغرض الذى أكثر من القول فيه هو الوصف، ووصف الطرماح يدور حول البادية، وما يعرض فيها للإنسان من مناظر وما يضطرب فيها من حيوان ووحوش، ولا نجد في ديوانه كله وصفاً لأحوال العراق الذي أقام فيه، ولا لمناظر البلاد التي زارها، وإنما هي البادية ومناظرها يذكرها دائماً، ويصفها كثيراً، وهذا من آثار نشأته في البادية"[2].

**ثانياً: البداوة بين اللغة والاصطلاح:**

إن البداوة ظاهرة عريقة في المجتمع العربي، وُجدت منذ أن وُجِد ذلك المجتمع، ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا، ولعل وجودها يرجع إلى وجود الصحاري العربية الواسعة المترامية الأطراف، هذه الصحاري التي تفرض على ساكنيها حياة الترحال، بسبب الظروف الصعبة بها[3].

وعن ذكر لفظ (**البداوة**) في فصيح الكلام، ذكره في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى:

**(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)** [4]

وفي قوله تعالى:

**(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ)**[5]

وهذه الآية قصدت البدو كلهم وإن لم تذكر لفظة البداوة صراحة؛ سواء البدو الرحل، أو القبائل المستقرة، أينما وجدوا وحلوا.

**البداوة لغة:**

ورد معنى البدو في أغلب المعاجم القديمة، وفي لسان العرب بصفة خاصة بمعنى يرتبط بالسبق، والقدم الزمني: بَدَيْتُ وبَدَأْتُ، ومنه قولهم في الحديث:

وأهل المدينة يقولون (بَدَيْنَا) بمعنى (بَدَأْنَا)، والبَدْوُ والبَادِيَةُ والبَدَاةُ والبَدَاوَةُ، والبَدَاوَةُ: خلاف الحَضَر[6].

---

(1) يُنظر مقدمة تحقيق الديوان، ص ٢٧.

(2) مقدمة تحقيق الديوان، ص٣١.

(3) يُنظر محي الدين صابر، ومليكة لويس كامل، البدو والبداوة: مفاهيم ومناهج، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦، ص١٦ .

(4) سورة يوسف: الآية ١٠٠ .

(5) سورة النحل: الآية ٨٠ .

(6) ينظر ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، ت٧١١هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧، مادة (بدا).

أما في القاموس المحيط فقد ورد فيه: " والبَدْوُ والبَادِيَةُ والبَادَاةُ والبَدَاوَةُ: خلاف الحضر، وتَبَدَّى: أقام بها، وتَبَادَى: تشبه بأهلها، والنسبة: بَدَاوِيٌّ، وبدا القوم بَدأ: خرجوا إلى البادية، وقومٌ بُدَى وبُداً: بَادُون، وبَدْوَنًا الوادى: جانباه"[١].

**البداوة اصطلاحاً:**

وهناك اختلاف بين الدارسين حول مفهوم البداوة؛ فهناك من يعرفها بأنها نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة من ناحية، وعلى كفاية الوسائل المستعملة في استغلالها من ناحية أخرى، وعلى مدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر من جهة ثالثة (٢).

**المبحث الأول: أثر البداوة في البيئة الاجتماعية والسياسية**

**المطلب الأول: أثر البداوة في العادات والتقاليد الاجتماعية:**

ما زالت بعض التقاليد والعادات والقيم التي كانت سائدة عند البدو في العصر الجاهلي يتمسك بها كثير من الناس، وبعض هذه القيم قيم إيجابية، مثل: الكرم، والشجاعة، والفروسية، وبعضها قيم سلبية تضر الأفراد والمجتمع، مثل: العصبية القبلية[٣].

وستتناول الدراسة بعض هذه القيم والتقاليد البدوية من خلال استقرائها في شعر الطرماح، وذلك على النحو **التالي:**

**١- الكرم:**

والكرم اسم جامع لكل ما يحمد وكَرُم السحاب إذا جاء بالغيث.[٤] والكرم ضد اللؤم.[٥] والكرم فضيلة وسجية وأصل من أصول الأخلاق، يتحول بها الإنسان من الأثرة إلى الإيثار. والكرم لفظ جامع لمعاني السماحة والبذل، وهي خصلة تضاف إلى محاسن الطباع والأعراق، فالكرم واقع على كل فعل من الأفعال المرضية؛ لازم لكل حال من الأحوال الجليلة السنية[٦].

وإذا تطرقنا إلى شعر الطرماح سوف نجد أن الحديث عن الكرم يعد ملمحاً مهما من ملامح تكوين شخصية ممدوحيه، وهذا الكرم قد أملته عليه تأثره بطبيعة الحياة البدوية كما في قوله[٧].

**إلـــى الأبطـــالِ مِـــنْ سَـــبَإٍ تَنَمَّـــتْ مَنَاسِـــبُ مِنْـــهُ غَيْـــرُ مُقَرْزَمَـــاتِ**

**ومَـــنْ يَـــكُ سَائِـــلاً بـالغَـــوْثِ عَنِّـــي فَـآبـائـــي الحُمـــاةُ بَنُـــو الحُمَـــاةِ**

**بحَوْطِهِـــمُ قَـــوَاصي الأصْـــلِ قِـــدْماً ونَهْـــضِهِمُ بـأعْبـــاءِ الدِّيَـــاتِ**

---

(١) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، ت٨١٧هـ، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م، مادة(بدا).

(٢) يُنظر كولني، يوسف، معجم المصطلحات الجغرافية، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٤م، ص٧٩.

(٣) يُنظر هاشم سعيد عبد الوهاب: دور المعاهد التقنية في مجتمع عربي متغير، المجلة العربية للبحوث التعليم العالي، العدد ٥-٦، ١٩٨٦م، ص٨٢.

(٤) يُنظر ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ، ج١٢ ص٥١٥.

(٥) يُنظر الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م، ص١١٥٣.

(٦) يُنظر أبو الحسن علي بن عبد الرحمن: عين الآداب والسياسة وزين الحسب والرياسة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م، ص١٠٥.

(٧) الطرماح، ديوانه ص٦٢.

**وأخْـــذِهِمُ النَّـــصَيبَ لِكُـــلِ مَـــوْلىً سَـــيَكْثُرُ إنْ فُئُـــوا عَـــدَمُ الكُفَـــاةِ**

وهنا يفتخر الشاعر في هذه الأبيات بعرب اليمن؛ لأن طيئاً قوم الطرماح من اليمن، فنسبهم ممتد غير منقطع وهم الحماة بنو الحماة، كما أنهم من الكفاة الذين يكفون حاجة المحتاجين، وأنه إن فنى هؤلاء القوم فقد المحتاجون الكفاة الذين يكفونهم .

وأن مدح الشاعر لقومه بالكرم يدل على تأثره بالبادية والصحراء؛ وذلك لأن الكرم يعد من أهم الصفات التي يتصف بها أهل البادية ويمتدحون بها.

كما يقول الطرماح في قصيدة أخرى مادحاً يزيد بن المهلب:

**كَفَّـــاه كَـــفٌّ لا يُـــرَى سَـــيْبُهَا مُقَـــسَّطاً رَهَبَـــةَ إعـــدَامِهَا**

**مَبْـــسُوطةٌ تَـــسْتَنُّ أرْوَاقُهَـــا عَلَـــى مَوَالِيهَـــا ومُعْتَامِهَـــا**

فهنا شبه الطرماح كف يزيد بن المهلب المبسوطة في الجود والعطاء بالسحابة الماطرة التي تسيل مياهها على حلفائه وجيرانه وكل من يختاره، واختياره للسحابة الماطرة في التشبيه يدل على ارتباطه بالطبيعة وتأثره بها، وهذا من صفات البدوي.

**٢- الشجاعة والفروسية:**

فالشجاعة عبارة عن خلق إنساني ينشأ في القلب، وتعني في اللغة "شدة القلب عند البأس"[١] فهي صفة نفسية في القلب، تتحول إلى الإقدام في ساحات الحرب والقتال، يقول ابن قيم الجوزية: "الشجاعة هي ثبات القلب عند الوقائع، وإن كان ضعيف البطش"[٢].

والشجاعة هي: "الإقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة إلى ذلك، والثبات عند المخاوف مع الاستهانة بالموت"[٣].

ومن الصور البدوية التي تبرز الشمائل العربية عند الطرماح بن حكيم صورة الشجاعة، كما في قوله: [٤]

**أنَـــا ابْـــنُ الْحَـــرْبِ رَبَّتْنِـــي وَلِيـــدًا إلَـــى أنْ شِـــبْتُ واكْتَهَلَـــتْ لِـــذَاتِي**

**وَضَارَسْـــتُ الأُمُـــورَ وضَارَسَـــتْنِي فَلَـــمْ أعْجِـــزْ ولَـــمْ تَـــضْعُفْ قَنَـــاتِي**

فالشاعر يفتخر بنفسه، وأنه قد تربى على الحرب منذ الصغر إلى أن شاب، وأنه مهما قابل يبقى قوياً صلباً على عادته.

يعرف عن سكان البادية القوة والشجاعة وخوض الحروب، وصعوبة البيئة الصحراوية تجعل المرء يواجه العديد من الصعوبات؛ ومن ثم فهو ينشأ على التأقلم مع هذه الصعوبات والتعايش معها، ومن ثم فتظهر روح البداوة في هذه الأبيات.

---

(١) ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، دار المعارف، مادة شجع، ج٨، ص١٧٣.
(٢)ابن قيم الجوزية: الفروسية المحمدية، تحقيق: زايد النشيري، دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص٤٦٦.
(٣) النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ج٣، ١٤٢٣هـ، ص٢٢٠.
(٤) نفسه، ص٥٧.

**٣- النظام القبلي:**

تعد القبيلة الوحدة السياسية عند العرب في الجاهلية؛ ذلك لأن القبيلة هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد، والواقع أن الذي يجمع أفراد تلك الجماعة هو الشعور بالانتماء، وهذا يسمى بالعصبية القبلية.

**وفي هذا يقول ابن خلدون:**

" العصبية هي النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم تهلكه. وتكون العصبية بين أهل النسب الواضح ومن صاهرهم، أي تزوج من نساء منهم أو تزوجوا هم من نسائه، أو ينتسبون إليهم بالولاء أو الحلف"[١].

ومن ملامح النزعة القبلية مدح قادة القبيلة بالشجاعة، وسد عوز المحتاجين؛ فنجده يمضي فيذكر لنا بعض الأسماء البارزة في قبيلته ذاكراً المكرمات التي اشتهر بها أفراد قومه وقبيلته؛ إذ يقول: [٢]

**مِنَّا الفَوَارِسُ والأمْلاكُ، قَدْ عَلِمَتْ ... عَليا معدّ، ومِنَّا كُلُ ذِي حَسَبِ**

**كَعَامِرِ بْن جُوَيْنٍ فِي مُرَكَّبِهِ ... أوْ مِثْلِ أوْسِ بْنِ سُعْدَي سَيِّدِ العَرَبِ**

**المُنْعِمِ النَّعَمَ اللأَتِي سَمِعْتَ بِهَا ... فِي الجَاهِلِيَّةِ والفَكَّاكِ لِلْكُرَبِ**

**أوْ كَالفَتَى حَاتِمٍ إذْ قَالَ: مَا مَلَكَتْ ... كَفَّايَ لِلنَّاسِ نُهْبَى يَوْمَ ذِي خَشَبِ**

**المطلب الثاني: أثر البداوة في النواحي السياسية (وصف الحروب وذكر أيام العرب):**

ويلاحظ على شعر الطرماح ارتباطه الوثيق بالحرب وساحات القتال وذكر أيام العرب، وما كانت عليه الحياة آنذاك؛ وهذا يدل على الأثر الواضح للحياة السياسية التي عاشها الشاعر وقبيلته على شعره.

وقد ورد في شعر الطرماح ذكر للعديد من أيام العرب ، منها يوم البطاح، يقول: [٣]

**يَوْمَ البُطَاحِ، وطَيِّئٌ تَرْدِي بِهَا ... جُرْدُ المُتُونِ، لَوَاحِقُ الأقْرَابِ**

**يَصْهَلْنَ لِلنَّظَرِ البَعِيدِ كَأنَّهَا ... عِقْبَانُ يَومٍ دُجُنَّةٍ وَضَبَابِ**

يذكر الشاعر هنا يوم البطاح، وهناك قاتل خالد بن الوليد في جيوش أهل الردة من بني تميم وبني أسد وعليهم طليحة بن خالد الأسدي، وكانت طيء في جيوش المسلمين يوم البطاح، ولذلك فخر الطرماح بهذا اليوم.

---

([١]) ابن خلدون، المقدمة، مطبعة دار القلم، بيروت، ١٩٧٨م، ص٥٦. \

([٢]) الطرماح، ديوانه، ص٥٤ ، ٥٥.

([٣]) الطرماح، ديوانه، ص٥١.

البطاح أرض في بلاد بني تميم.

فيصف الشاعر الخيل التي كانت في المعركة، فهي خيل قليلة الشعر، ضامرة الخواصر، قوية النظر حتى في وجود الغيم الكثير المظلم الذي يطبق أقطار السماء، وانتصر المسلمون في هذه المعركة.

يلاحظ أن الطرماح في بعض شعره يصف الغارات، ويمدح بها، مثل مدحه لغارة يزيد بن المهلب؛ إذ يؤكد على شجاعته فيقول: [1]

**صَبَحْتَ مع الطير إذْ صَبَّحَتْ ... بشَعْواءَ مُشْعَلَةٍ سَافِحَهْ**

**على الجُرْدِ تَهْوي هُوِيَّ الدِّلاَءِ ... خَانَتْ بها الأذْرُعُ المَاتِحَهْ**

**بكل أشَقَّ كَظِلِّ الخَيَالْ ... وشَقَّاءَ كَاللَّقْوَةِ الجانِحَهْ**

**إذا اسْتُعْجِلتْ بالوَحَى خِلْتَها ... بأجْوَازِهَا قَدَمٌ طارِحَهْ**

**إذا ما انْطَوَى أبْطَنَا بَطْنِها ... تَبَارَتْ قوَائِمُها السَّابِحَهْ**

يصف الطرماح غارة يزيد بن المهلب، فقد أصبح أهل الوادي بالغارة، فغاراته كثيرة متفرقة ومشتعلة منتشرة، يكون فيها قتال، وتسيل فيها دماء.

ثم يعود فيصف خيل تلك الغارات؛ فهي خيل قصيرة الشعر- وهذا من علامات العتق في الخيل-، كما أنه شبه سرعة ركض الخيل بسرعة انحدار الدلو في البئر حين تفلت من يد الماتح، كما وصف نوقه بأنها إذا استعجلت في السير بالصوت، أسرعت وكأنها تضرب بالقدم، فهي سريعة في الجري كأنها تسبح.

ويظهر لنا من هذا الوصف تأثر الطرماح بالحياة البدوية في استخدامه لهذه التشبيهات.

كما تبين لنا بوضوح؛ أثر الحياة الاجتماعية والسياسية في شعر الطرماح بن حكيم من خلال ما أبدعه من قصائد، تدل على معرفة واسعة بالبيئة البدوية، ذات الطبيعة القاسية، مما يفرض هذا على سكانها العيش ضمن إطار معين من المفاهيم والعلاقات التي ظهرت ملامحها من خلال الحديث عن العادات والتقاليد والنظام القبلي والنواحي السياسية، وهذا ما ظهر جلياً في شعره.

**المبحث الثاني: أثر الطبيعة الصحراوية البدوية في شعر الطرماح**

تشكل البيئة الطبيعية مصدراً مهماً من مصادر الخيال الشعري، لما تمد به الشعراء من صور واقعية، تعد الطريق الأقرب للتعبير عن الأفكار والمشاعر والمعاني، وذلك من خلال التمثيل والتشخيص؛ مما ينتج عنه صورة فنية رائعة [2].

والطرماح أحد الشعراء الذين أدركوا الجمال في بيئتهم، فأخذ يصور الجمال فيها، فبينما ظهر تأثير البيئة الاجتماعية في شعره، ظهر أيضاً تأثير البيئة المادية، فوقف على الأطلال، وذكر الديار، وتأثر بالحيوان، وتناول الفلوات والجبال، فقد ارتبط ببيئته ارتباطاً شديداً.

المطلب الأول: بداوة الطبيعة الجغرافية:

---

([1]) الطرماح، ديوانه، ص٨٧ ، ٨٨.

([2])ينظر جبور عبد النور،: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص ١٦٣،١٦٤.

**أ- صورة الأطلال وآثار الديار:**

جاءت مناظر الأطلال في شعر الطرماح غير مختلفة عنها في شعر الجاهلين، فقد سار على سنتهم، ومن ثم ارتبط الحديث عن الأطلال بالبداوة التي حاول الطرماح إظهارها في شعره؛ صورة، ولغة، وأسلوباً.

واحتفظت المقدمات الطللية بالطوابع البدوية والصحراوية طوال العصر الأموي، وذكر حسن عطوان لذلك **ثلاثة تفاسير:**

"أن مظاهر الحضارة الأموية لم تؤثر في القبائل جميعها، وأنه لم يكن أمام الشعراء الأموين من الأصول الفنية إلا التراث الجاهلي، فعكفوا عليه وصاروا على نهجه، والسبب الأخير أن اللغويين والنحاة في تلك الفترة كانوا يفضلون الشعر الجاهلي، فدعوا الشعراء إليه "[1]

وإذا تأملنا شعر الطرماح في الأطلال نجده يقول: [2]

**لِمَنْ دِيَارٌ بِهَذَا الجِزْعِ مِنْ رَبَبِ بَيْنَ الأَحِزَّةِ مِنْ هَوْبَانَ فَالْكُثُبِ**

**تِلْكَ الدِّيَارُ التي أَبْكَتْكَ دَمْنَتُها فَالدَّمْعُ مَنْكَ كَهَزْمِ الشَّنَّةِ السَّرِبِ**

**أَطْلالُ لَيْلَى مَحَتْها كُلُّ رَائحَةٍ وَطْفَاءَ تَسْتَنُّ رُكْنَيْ عَارِضٍ لَجِبَ**

يقف الشاعر على هذه الديار، ويسأل متجاهلاً لمن هذه الديار التي تقع في جزع الوادي من ربب في منطقة هوزان، هذه هي الديار التي أبكته أثرها، وهذه الأطلال قد محتها كل سحابة رائحة ماطرة.

**ب-صورة الصحراء:**

ولا يتوقف الشاعر عند موضع معين في الصحراء، بل يذكر جميع أرجائها من مرتفعات ومنخفضات، وأرض منبسطة، وماء، ونبات، وفصول، ومناخ، ويصور أيضاً حياة الكائن الحي عليها، وكأن الصحراء عنصر متكامل.

ويقول: [3]

**وفَلاةٍ يَسْتَفِزُّ الحَشَا مِنْ صُوَاهَا ضَبْحُ بُومٍ وهَامْ**

فلا تنفصل صورة الصحراء في شعره عن الكائن الحي الذي يعيش فيها.

يعرض الطرماح صورة أخرى للصحراء يصفها وصفاً دقيقاً واستخدم ألفاظاً ونعوتاً تدل على كثير من تفصيلاتها، يقول: [4]

**وصَحْمَاءَ أَشْبَاهِ الحَزَابِيِّ مَا يُرَى بِهَا سَارِبٌ غَيْرَ القَطَا المُتَرَاطِنِ**

**سَبَارِيتَ أخْلاق المَوَارِدِ يَائِسٍ بِهَا القَومُ مِن مُسْتَوْضِحَاتِ االشَّوَاجِنِ**

---

(1) حسين عطوان: مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، بيروت، ط٢، ١٤٠٧ه،١٩٨٧م،ص١٢-٢٠

(2) الطرماح، ديوانه، ص٥٢

(3) الطرماح، ديوانه، ص٢٣٣

(4) الطرماح، ديوانه ص ٢٦٩-٢٧٠-٢٧٢

**إذا اجْتَابَهـــا الخِرِّيـــتُ قـــال لنفـــسه: أتَـــاك برجْلَـــيْ حَـــائِنٍ كُـــلُّ حَـــائِنِ**

**أطـــاف بهـــا طِمْـــلٌ حَـــريصٌ فلـــم يَجِـــدْ بهـــا غيـــرَ مُلْقـــي الوَاسِـــطِ المُتَبَـــاين**

**ومَوْضِـــع مَـــشْكُوكَيْنِ ألْقَتْهُمـــا مَعَـــاً كَوَطْـــأةِ ظَبْـــي القُـــفِّ بـــينَ الجَعَـــاثِن**

**ومُخْفِـــق ذي زرَيْـــن فـــي الأرض مَتْنُـــهُ وبـــالكَفِّ مَتْنَـــاهُ لَطِيـــفِ الأسَـــائِن**

هي صحراء سوداء غليظة غير مفهومة، قفر لا نبات فيها، إذا صار فيها الماهر العالم بأمور الصحراء والطرق تاه فيها، يطوف بها الذئب بحثاً عن الطعام، فلا يجد سوى واسط رحل ملقى مكسور، فيغلب على أرض الصحراء مظاهر القسوة والقلة بحيث تنعدم الحياة فيها.

وكان يصعب الوصول إلى الماء في الصحراء، وقد ذكر الشاعر تلك المعاناة التي يعانيها من أجل الوصول إليه، يقول الطرماح: (١)

**لِظَمْـــآنَ فـــي مَـــاءٍ أحَالَتْـــهُ مُزْنَـــةٌ بُعَيْـــدَ الكَـــرَى فـــي مُـــدْهُنٍ بَـــيْنَ أطْلُـــح**

فمكان هذا الماء الذي أنزلته السحب في مكان بعيد في الجبل مختبئ بين أغصان الأطلح.

يذكر الطرماح كثيراً من أنواع نباتات الصحراء وأشجارها؛ سواء ما كان ينبت في المرتفعات والجبال، أو في الأرض الرملية والمنبسطات، أو في الأودية والأراضي الغليظة.

ونجده يكثر من تناول النباتات المتصلة بحياة الكائن الحي وغذائه، ومن هذه النباتات نبات **المَكْر**، وهو نبات ينبت في السهل والرمل، له ورق وليس له زهر، يأكله الثور الوحشي، يقول الشاعر: (٢)

**يَـــسَفُّ خُرَاطَـــةَ مكـــر الجِنَـــابِ حتـــى تُـــرى نَفْـــسُهُ قافِحَـــهْ**

فالثور الوحشي يأكل من هذا النبات حتى يشبع.

ومن هذه النباتات التي تنبت في الصحراء، نبات **العرفج**، وهو من نباتات السهول مثل قعدة الإنسان، سهل الانقياد للريح، تأكله الغنم والإبل، يقول الشاعر في الوقوف على الأطلال وذكر ديار الأحبة، وما حدث لهذه الديار بعد رحيلهم عنها: (٣)

**ومَحَـــــاهُ تَهْطَـــــالُ أسْـــــمِيَةٍ كُـــــلَّ يـــــومٍ وليلـــــةٍ تَـــــردُهْ**

**غيـــرَ حَـــشْوٍ مـــن عَـــرْفَجٍ غَـــرَضٍ لريـــــاح المَـــــصيفِ تِطَّـــــردُهْ**

كأن أهل الصحراء يستخدمون هذا النبات، ليستتروا به، ويجعلونه على بيوتهم.

أما عن مناخ الصحراء فقد رسم الطرماح ملامح المناخ فيها من رياح وأمطار، وتنوعت هذه الملامح، فمنها: الشتوية والصيفية، ويرتبط ذكر الرياح والأمطار في هذه الأشعار بالعوامل

---

(١) الطرماح، ديوانه، ص٩٦.
(٢) نفسه، ص٨٣
(٣) الطرماح، ديوانه ، ص١٣٨

الفلكية والنجوم وبتحركاتها وفاعليتها، والشاعر اعتمد في حديثه عنها على معارف العرب بها، وقد عدد أسماء كثيرة تتصل بالرياح وأوصافها، ومنها **الريحان**، يقول: [1]

**تُرَاوِجُـــــهُ ريحَـــــان إذْ تَنْـــــسُجانِهِ كمـــا اخْتَلَفَـــتْ كَفَّـــا مُفِـــيضٍ بأقْـــدح**

يقصد الشاعر بالريحان هنا الشمال والجنوب، أو الصبا والدبور، فالريحان تنسجان السفا على القبر، تأتيان به وتجعلان منه طرائق كالنسيج.

أما عن فصول الصحراء، فنجد أن صورة الصيف تطغى على ملامح الصحراء، وقليلاً ما نجده يصف صورة ربيعية أو خريفية، مثل وصفه عند رحيل الظعائن: [2]

**ظُعُـــنٌ تَجَاسَـــرُ بـــين حَـــزْمِ عُـــوَارضٍ وعُنَيْـــــزَتَيْنِ رَبـــــيعُهُنَّ الأعْيَـــــدُ**

**بـــــأِعْنَّ كَالحُوَلَـــــاءِ زَانَ جِنَانَـــــهُ نَـــــوْرُ الـــــدَّكَادِكِ سُـــــوقُهُ تَتَخَـــــضَّدُ**

**حَتَّـــى إذا صُـــهْبُ الجَنَـــادِبِ وَدَّعَـــتْ نَـــوْرُ الرَّبيـــع ولَـــاحَهُنَّ الجُدْجُـــدُ**

فقد وصف الشاعر صورة رائعة للربيع، بما فيه من ماء وزهر وعشب وغيره، ثم أشار إلى بداية إقبال فصل الصيف.

أما عن الصورة الشتوية، لم تظهر في شعره إلا عند التعبير عن الليلة الباردة ببرودة رياحها الشمالية ، يقول: [3]

**بَيّتْـــــهُ وهـــــو مُـــــسْتَرْسِلٌ يَبْتَنِـــــي مَـــــأوىً لِـــــأدْنَى مُقَـــــامْ**

**لَيْلَـــــةَ هَاجَـــــتْ جُمَادِيَّـــــةٌ ذاتُ صِـــــرٍ جِرْبِيَـــــاءُ الّنَـــــسَامْ**

فهذه الليلة الباردة، دفعت الثور لإيجاد مأوى لإقامته ليلة ثم يرحل.

**المطلب الثاني: أثر البداوة في صورة إنسان الصحراء في شعر الطرماح**

**أ- صورة المرأة وطيف الخيال**

المتتبع لصورة المرأة عند الطرماح يدرك أنه يسير في ذلك على خطى الغزل التقليدي، فنجد ذكره للمرأة جاء معظمه في مقدمات قصائده، فقد وقف على الأطلال وديار الأحبة، ووصفها، ودعا إلى مخاطبتها، وذكر العديد من الأسماء المعروفة للنساء، كما أنه ذكر الوشاة والرقباء، وشكا من نقض العهود والهجران، وحن إلى أيام الشباب، ومن المعاني العذرية البدوية التي تطرق إليها الطرماح في شعره حديثه عن صدود المحبوبة وهجرانها، وحبه الشديد لها، وتعلقه بها، وحزنه على فراقها، كما في قوله: [4]

**ألا إنّ ســـــلمى عَـــــنْ هَوَانَـــــا تَـــــسَلَّتِ وَبَتَّـــــتْ قُـــــوَى مـــــا بيننـــــا وأَدَلَّـــــتِ**

---

(1) الطرماح ، ديوانه، ص٩٩

(2) نفسه، ص١١٠

(3) نفسه، ص٢٣٥- ٢٣٦

(4) الطرماح، ديوانه، ص٦٩.

**وإنْ يـــكُ صُـــرْماً أو دلالاً فطـــال مـــا بلـــا رقبَـــةٍ عَنَّـــتْ سُـــلَيْمَى ومَلَّـــت**

**ولـــمْ يبـــق فيمَـــا بينَنَـــا غيـــرَ أنَّهـــا تُحِيـــرُ إذا حَيَّيْـــتُ قـــوْلَ المُبَلِّـــتِ**

**وإنـــــي إذا رَدَّتْ عَلَـــــيَّ تَحِيَّـــــةً أقـــولُ لهـــا اخْـــضَرَّتْ عليـــكِ وَطُلَّـــتِ**

يشكو الشاعر في هذه الأبيات من هجران محبوبته له، فقد قطعت سلمى حبل الود الممدود بينهما، فلم يبق بينهم غير رد التحية بصوت منخفض، فلا ترفع صوتها خوفاً من أعين الناس أو ملالاً، وأنه على الرغم من ذلك إذا ردت عليه دعا الأرض أن تخضر لها ويصيبها الطلل.

ومن مظاهر البداوة أيضاً في غزليات الطرماح وصف الظعن، ويعلق د/ مي يوسف خليف على ذلك بقوله:" إن منظر الرحيل والوداع منظر استقر منذ وقت مبكر في أكثر مقدمات الشعر الجاهلي، منذ أن أخذت هذه المقومات في الاستقرار مع ظهور القصيدة الجاهلية في شكلها التقليدي المعروف، وذلك لارتباطه الوثيق بظاهرة الحركة التي رأينا أنها القاعدة التي تقوم عليها حياة البدو من سكان الجزيرة العربية. فكلما تتراءى لنا مناظر الرحلة والظعائن التي يتتبعها الشاعر بخياله في مقدمات الأطلال، تتراءى لنا في المقدمات الغزلية مناظر الرحيل والوداع. وعادة يبدأ الشاعر مقدمته بالحديث عن رحيل صاحبته التي تثير في نفسه مشاعر الحزن والأسى واللوعة والحنين، وهي مشاعر تحمله على أجنحتها الشعرية إلى صاحبته البعيدة ليقف أمام جمالها الحسي أو المعنوي يصفه، ويتغنى به"[1].

ومن صور الشاعر التي تطرق لوصف الظعن قوله: [2]

**إنَّ الفـــؤاد هَفَـــا لِلْبَـــائنِ الغَـــردِ لمـــا تَـــدَيَّلَ خلـــفَ العُـــنَّس الخُـــرُدِ**

**والعِـــيسُ تَنْفُـــلُ نقـــلاً وهـــو يَتْبَعُهـــا يمـــشي مـــن الغَـــيِّ مَـــشْيَ النَّـــابِ بالرَّبَـــدِ**

**واســـتجمعَ الحـــي ظعنـــاً واسْـــتَبَدَّ بهـــم نـــاوٍ يـــرى الغـــي بالإتبـــاع كالرشـــدِ**

**واسْـــتَطْرَبتْ ظُعْـــنُهُم لمـــا احـــزَألَّ بهـــم آلُ الـــضحى ناشـــطاً مـــن دَاعِيَـــاتِ دَدِ**

**مـــا زلْـــتُ أتْـــبعُهُم عينـــاً مـــدامعها يُحْـــسَبْنَ رُمْـــداً ومـــا بـــالعَيْنِ مـــن رَمَـــدِ**

**حتـــى اسْـــمَدَرَّ بـــصيرُ العـــين وابْتَـــدَرَتْ أخـــصامُها عَبْـــرَةً مِـــنْ لاعِـــجِ الكَمَـــدِ**

فعندما استعد القوم للرحيل، أخذ ينظر إليهم بعينه وهي تدمع؛ حتى أصبحت رؤيتها ضعيفة، ولم تعد ترى جيداً من البكاء.

---

([1]) مي يوسف خليف: القصيدة الجاهلية في المفضليات" دراسة موضوعية وفنية"، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٦٩

([2]) الطرماح، ديوانه، ص١٢١-١٢٢.

**ب- مشاهد الصيد في الصحراء**

جاءت لوحة الصيد مليئة بالصراع بين الصائد والطريدة؛ لأنها تعد مظهراً من مظاهر حيوية العرب، ودليلاً على نشاطهم الاجتماعي والفني في البادية[١].

ومن مشاهد الصيد التي وصفها الطرماح هذه اللوحة الفنية، التي يقول فيها: [٢]

**هاجت به كُسُبٌ تَلَعْلَعُ للطَّوَى ... والحِرْص يَدْأَل خَلْفَهُنَّ الْمُوْسِدُ**

**صُعْرُ السَّوَالِفِ بالجراء كأنها ... خَلْفَ الطَّرائِدِ خَشْرَمٌ مُتَبَدِّدُ**

**واجْتَبْنَ حَاصِبَهُ وولَّى يَقْتَري ... فَيْحَانَ يُسْجِحُ مَرَّةً ويُعَرِّدُ**

**يُدْري رَوَائِسَهَا الأوائِلَ مثلَ ما ... يُدْري فُرَاشَ شَبَا الحديدِ المِبْرَدُ**

**تَثْرَى ويَخْصِفُهَا بحَرْفِيْ رَوْقِهِ ... شَزْراً كما اخْتَصَفَ النِّقَالَ المِسْرَدُ**

**فَصَدَدْنَ عنه وقد عَصَفْنَ بنَعْجَةٍ ... خَدْلَتْ وأفْرَدَهَا فريرٌ مُفْرَدُ**

فقد أطلق الصائد هذه الكلاب الجائعة، وحرضها على الصيد، فهي مائلة الأعناق في الجري من شدة النشاط، ويحاول الثور الوحشي الهروب من هذه الكلاب خوفاً أن يدركه الصائد، على الرغم من محاولة الكلاب اللحاق به، وينجح في الهروب منها حيث تنشغل الكلاب بالبقرة التي أخرها ولدها.

فهي صورة في غاية الجمال، وتشير في النهاية إلى نجاة الثور الوحشي، وخسارة الصائد، وهذا ما نجده في معظم المشاهد التي وصفها الطرماح

**المطلب الثالث: أثر البداوة في صورة حيوان الصحراء عند الطرماح**

كان لحيوانات البيئة البدوية حضور بارز في المضمون الشعري عند الطرماح، ومنها: الإبل، والخيل، والقطا، والظباء، والثور الوحشي، والظليم، والنعام، والغراب ... وغيرها.

**١- الإبل**

تعد الإبل من أهم حيوانات البادية، وقد ألفها البدوي؛ وذلك لأنها تعد المصدر الأول في حياته، فهي ترافقه في الصحاري التي لا نهاية لها دون كلل أو ملل. [٣]

ومن صور الطرماح الواصفة للناقة قوله: [٤]

**مُقَذَّفَةٍ بالنَّحْضِ ذَاتِ سَلاَنِقٍ ... تَضِبُّ نواحِيها وصُلْبٍ مُكَدَّحِ**

**تراهَا وقد دَارَتْ يَدَاهَا قَبَاضَةً ... كَأَوْبِ يَدَيْ ذِي الرُّصَّةِ المُتَمَتِّحِ**

---

(١) يُنظر د/ بدوي طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة المطبعة الفنية الحديثة، ط٤، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٤٣.

(٢) الطرماح، ديوانه، ص١١٧-١١٨.

(٣) يُنظر كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تعريب عبد الحليم النجار، دار المعارف،ط٥، ١٩٨٣م، ص٥٦

(٤) الطرماح، ديوانه، ص١٠٢-١٠٣

كَتُـــومَ التَّـــشكِّي مـــا تـــزالُ برَاكِـــبٍ تَعُـــومُ بريـــع القَيْعَـــةِ المُتَضَحْـــضِحِ

إذا انقـــدَّ منـــه جانـــبٌ مـــن أمامهـــا بَـــدا جَانِـــبٌ كـــالرّازِقِيِّ المُنَـــصَّح

جُمَالِيَّـــةٌ يَغْتَـــالُ فَـــضْلَ زمامِهَـــا شَـــناح كـــصَقْبِ الطـــائفيِّ المُكَـــسَّح

إذا مـــا انْتَحَـــتْ أمّ الطريـــق تَرَسَّـــمَتْ رَثـــيمَ الحـــصى مـــن مَلْكِهـــا المُتَوَضِـــح

بخَوْصَـــاءَ مَلْحُـــودٍ بغيـــر حَديـــدَة لهـــا فـــي حِجَـــاجٍ كالنَّـــصِيلِ المُـــصَفَّح

كـــأن المطايـــا ليلـــة الخِمْـــس عُلِّقَـــتْ بوَتَّابَـــةٍ حُـــرْدِ القـــوَائِمِ شَحْـــشَح

يخوص الشاعر في وصف ناقته، فيقول: إن ظهر هذه الناقة مجروح من عضة القتب الذي هو خشب رحل البعير، كما أنه شبه رجع يدي الناقة في سيرها بعمل يد الماتح على البئر في سرعتها، كما أن هذه الناقة تسرع بركابها في السراب كأنها تسبح، فهي ناقة وثيقة تشبه الجمل في خلقتها وشدتها وعظمها، كما أنها طويلة العنق، ثم سرعان ما انتقل الشاعر إلى وصفها بعد السفر وما يظهر عليها من آثار التعب والإعياء، ثم شبهها بعد ذلك بالقطا.

**٢- الثور الوحشي:**

نلاحظ أن ذكر الثور الوحشي في ديوان الطرماح دائماً ما يكون في مجال التشابه بينه وبين الناقة، من حيث النشاط، وقطع المسافات والمواجهة وغيرها.

ويغلب على المنظر الذي يتكرر حضور الثور فيه الطابع الشتوي؛ حيث البرد القارس والرياح الشمالية والمطر المنهمر.

**يقول الشاعر:** [١]

تربـــعَ وَعْـــسَ الأخْـــرَمَيْنِ وأرْبَلَـــتْ لـــه بعـــدما صَـــافت جِـــوَاءُ المَكَـــامِنِ

فلمـــا شَـــتَا سَـــاقتْه مـــن طُـــرَّةِ اللَّـــوى إلـــى الرمـــل صِـــنَّبْرُ شَـــمالٍ ودَاجِـــن

وآواه جِـــنْحَ الليـــل ذَرْوُ أَلَـــاءَةٍ وأرْطَـــأةُ حِقْـــفٍ بـــين كِـــسْرَي سَـــنَائِنِ

فبـــاتَ يُقاســـي ليـــلَ أنْقَـــدَ دائبـــا ويَحْـــدُرُ بـــالحِقْفِ اخـــتلاف العجـــاهِنِ

كَطِـــوْفِ مُتَلَّـــي حَجَـــةٍ بـــين غَبْغَـــبٍ وَقَـــرَّةَ مُـــسْوَدٍّ مـــن النَّـــسْكِ قـــاتِنِ

فباتـــت أهاضـــيبُ الـــسُّمِيِّ تَلُفُّـــهُ علـــى نعـــجٍ فـــي ذِرْوَةِ الرَّمْـــلِ ضَـــائِنِ

---

([١]) الطرماح : ديوانه، ص٢٧٤-٢٧٥-٢٧٦

**إلـــى أصـــل أرْطـــاةٍ يـــشيمُ ســـحابة  علـى الهـضب مـن حيـرانَ أو مِـن ثُـوازن**

يعطي الشاعر في هذه الأبيات صورة مليئة بالحيوية والنشاط، فقد رعى هذا الثور في زمن الربيع، ثم أتى عليه الصيف ويبس النبات، ثم دخل عليه الشتاء حيث البرد القارس والرياح الشديدة والمطر الغزير، وقد آواه جنح الليل يذهب ويجيء بالطعام، ثم شبهه طوافه حول ما اعوج من الرمل بالرحل الذي يطوف.

وبدأ المطر ينزل عليه والرمل يلف حوله حتى وصل إلى شجرة تنبت بالرمل يختبئ بها من المطر.

**٣- الحمار الوحشي:**

نلاحظ أن ذكر الطرماح للحمار الوحشي يكون مقترناً دائماً بمرافقة الأتن له في الرحلة عبر الصحراء، يقول الشاعر: [١]

**فانـــــصاعَ يطرُدُهـــــا ويحملُهـــــا  علـــــــى غيـــــــبِ المَحَامِـــــــلْ**

**يرْعَـــــى هَوَادِيهَـــــا ويُلْحِـــــقُ  بَـــــالِيَ الخُـــــدْلِ الزَّوَامِـــــلْ**

**يقْلُـــــون قلْـــــوَاً وهـــــو يَزْمُـــــلُ  زَمْـــــلَ مِرْخَـــــاءٍ مُوَاغِـــــلْ**

**ضَـــــرِمُ الـــــشَّذَاةِ علـــــى الحَمِيـــــر  إذا غـــــدا صَـــــخِبُ الـــــصَّلاصِلْ**

يصور الشاعر هنا الحمار الوحشي، وهو ينطلق مسرعاً يسوق أتنه، فيحملهم على السير في طريق مجهولة في الصحراء، فهو يدرك من تخلف من هذه الأتن ويلحقها بالقطيع، وكذلك الأتن التي تعبن من السير، والأتن التي تزمل في عدوها معتمدة على أحد شقيها غير متمكنة، فعندما يتقدمن في السير يسرع هو في نشاط ومرح كأنه فرس من سرعته.

**٤- الكلاب:**

يذكر الطرماح الكلب في قصائده بعد حديثه عن الثور الوحشي؛ إذ ينتج عن لقائهما معركة شديدة تصور مصير كل منهما، يقول: [٢]

**يُـــوَزِّعُ بـــالأمْرَاسِ كـــلَّ عَمَلَّـــسٍ  مـــن المُطْعَمَـــاتِ الـــصَّيْدِ غيـــر الـــشَّوَاحِنْ**

**مُعِيـــدِ قِمَطْـــر الرِّجْـــلِ مختلـــفِ الـــشَّبَا  شَـــرَنْبَثِ شَـــوْكِ الْكَـــفِّ شَـــثْنِ البَـــرَاثِنِ**

**يَمُـــــرُّ إذا حُـــــلَّ مَـــــرَّ مُقـــــزَّع  عَتِيـــــقِ حَـــــدَاهُ أبْهَـــــرُ القـــــوسِ جَـــــارِنِ**

**تُـــوَازِرُهُ صـــيٌّ علـــى الـــصيد هَمُّهـــا  تَقَـــارُطُ أحْـــرَاجِ الـــضِّرَاءِ الـــدواجنِ**

**فأرْسَـــلَهَا رهـــواً وسَـــمَّى كَأنَّهـــا  يَعَاسِـــيْبُ ريـــحٍ عَارضَـــاتُ الجَوَاشِـــنِ**

---

(١) الطرماح، ديوانه، ص٢١٨-٢١٩

(٢) الطرماح، ديوانه، ص٢٧٧-٢٧٨

شبه الشاعر كلب الصيد بالذئب، فهو كلب حدة أنيابه، له مخالب شديدة، وهو حين يصطاد يمر مر السهم، وتساعده في الصيد كلبة كل همها ما يعطيها الصياد من الصيد، فعندما يأمرها الصياد بالصيد تسرع خلف الثور وكأنها نحل أو طير طار مع الريح.

**٥-الذئب:**

يعد الذئب رمز الجوع في الصحراء، يقول الشاعر: [١]

**تَـــأوَّبَنِي فيهـــا علـــى غيـــر مَوْعِـــدٍ أخُـــو قفْـــرَةٍ يَـــضْحَى بهـــا ويجـــوعُ**

**مـــن الـــزُّلِّ هِـــزْلاجٌ كَـــأنَّ برجْلِـــهِ شِـــكالاً مـــن الإقْعَـــاءِ وهـــو مَلُـــوعُ**

**كَـــذِي الظَّـــنِّ لا يَنْفَـــكُّ عـــوضُ كأنَّـــهُ أخُـــو جَهْـــرَةٍ بـــالعين وهـــو خَـــدُوعُ**

هذا الذئب يعاني من الجوع والظمأ، ويعود فيصف هذا الذئب بأنه سريع خفيف، متربص، يغتنم الفرص، وأنه إذا جلس يكون جلوسه مفترشاً رجليه وناصباً يديه، يقظ، منتبه، شم رائحة المسافر من بعيد، فيعلم مسبقاً بوجود الفرائس والخصوم.

**٦- الظليم:**

يتناول الطرماح الظليم في شعره مؤكداً من خلال ذلك على وحشية الصحراء، وقد يشبه بينه وبين الناقة، وفي كلتا الحالتين يبين لنا كفاح الظليم من أجل البقاء، وذلك من خلال رحلته إلى الحقل.

يقول الطرماح: [٢]

**يمـــسي بعَفْوَتِهـــا الهِجَـــفُّ كأنـــه حبَـــشيٌّ حازقـــةٍ غـــدا يَتَهَبَّـــدُ**

**مُجتـــابُ شَـــمْلةِ بُرْجُـــدٍ لِـــسَرَاتِهِ قـــدْراً وأســـلمَ مـــا سِـــوَاهَا البُرْجُـــدُ**

**يعتـــادُ أدْحِيَـــةً بُنِـــينَ بقفْـــرَةٍ مَيْثَـــاءَ يَـــسْكُنُهَا الَّـــلأي والفَرْقَـــد**

شبه الطرماح الظليم بالحبشي، ثم عاد في البيت التالي يصف جسده وريشه، وكأنه يلبس كساء ضخماً مخططاً فيه سواد وبياض، وأن ريشه يكون على ظهره، أما عنقه ورجلاه فتكون عارية من الريش، يأتي إلى مكان تضع فيه النعامة بيضها، وهو مكان تسكنه البقر الوحشي.

**٧- القطا:**

اهتم الشاعر بوصف القطا، وأنواعها، وضروب طيرانها، ويأتي الحديث عنها في معرض التشبيه بالناقة؛ من حيث المعنى، والسرعة في السير، وهي تعد معياراً للسبق إلى المياه.

يقول الطرماح: [٣]

**كـــأنَّ المَطَايَـــا ليلـــةَ الخِمْـــسِ عُلِّقَـــتْ بوَتَّابَـــةٍ حُـــرْدِ القـــوَائِمِ شَحْـــشَح**

---

([١]) نفسه، ص١٨٩

([٢]) الطرماح، ديوانه، ، ص١١٤-١١٥

([٣]) الطرماح، ديوانه، ص١٠٣

لهـــا كَـــضَوَاةِ النَّـــابِ شُـــدَّتْ بلاعُـــرى ... ولا خَـــرْز كَـــفّ بـــين نَحْـــرٍ ومَـــذْبَح

أنامَـــتْ غَريـــراً بـــين كِـــسْرَىْ تَنُوفـــةٍ ... مـــن الأرض مُـــصْفَرَّ الـــصَّلالمْ يُرَشَّـــح

أنامَتْـــه فـــي أفْحُوصِـــها ثـــم قَلَّـــصَتْ ... تَقَلَّـــبُ تُهْـــوي فـــي قـــرَائِنَ جُـــنَّح

غَـــدَتْ مـــن مَـــسَاري طَلَّـــق الكُـــدْر قَبْلَهَـــا ... رَوَافِـــعَ طـــوْراً تـــستقيمُ وتَنْتَحِـــي

علـــى الأجْنُـــبِ اليُـــسْرَي دُمُوكـــاً كأنهـــا ... كُعُـــوبُ رُدَيْنِـــيَّ مـــن الخَـــطِّ مُـــصْلَح

بمَعْمِيَّـــةٍ يُمْـــسي القطـــا وهـــو نُـــسَّسٌ ... بهـــا بعـــد وَلْـــق للَّيْلَتَـــيْنِ المُـــسَمِّح

وتـــصبح دون المـــاء مـــن يـــوم خِمْـــسِها ... عـــصائبُ حـــسرَى مـــن رذَايـــا وطُلَّـــح

رفاقـــاً تَنَـــادَي بـــالنُّزُول كأنهـــا ... بقايـــا الثـــوى وسْـــط الـــديار المُطـــرَّح

روايـــا فـــراخ تَنْتَحِـــي بأُنُوفِهـــا ... خَرَاشـــيَّ قـــيْض القَفْـــزَةِ المُتَـــصَيِّح

يبدأ الشاعر تشبيه ناقته بالقطا من حيث ورودها إلى الماء، ثم حاول تشبيه حوصلة القطا بورم يكون في عنق البعير، كما يصور مكان وضعها لفراخها، ثم مغادرتها لمكان المياه وسرعتها في الطيران، وقد شبه صف القطا في الطيران بكعوب الرمح وهي عقده، ثم انتقل إلى وصف ظمأها، وكأنها يبست من العطش، وهذه القطا تكون في جماعات تنزل معاً إلى مكان المياه، تحمل الماء لفراخها في حواصلها كي تشرب.

نلاحظ اهتمام الشاعر بأهمية مثابرة القطا على السير والسرعة في الليل لورود الماء، جاعلاً من ذلك رمزاً للسعي.

**نتائج البحث**:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن ظاهرة البداوة في شعر الطرماح، ومعرفة بواعثها ومظاهرها، وقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

١- كان الطرماح واحداً من الشعراء الذين ظهرت في شعرهم روح البداوة، فقد تشبع شعره بقيمها الاجتماعية والأخلاقية وعاداتها ومثلها.

٢- لا يعد الكرم غرضاً من أغراض شعر الطرماح، وإنما يعد ملمحاً من ملامح تكوين شخصية ممدوحيه.

٣- الطرماح أحد الشعراء الذين أدركوا الجمال في بيئتهم، فأخذ يصور الجمال فيها، فقد ظهر تأثير البيئة المادية في شعره، حيث وقف على الأطلال وذكر الديار وتأثر بالحيوان، فارتبط ببيئته ارتباطاً شديداً.

٤- جاءت مناظر الأطلال في شعر الطرماح غير مختلفة عنها في شعر الجاهلين.

٥- لم يشكُ الطرماح من قساوة الصحراء وحرارة شمسها ورمالها الجارفة، وإنما أظهر ذلك ليفتخر باجتيازه لها.

٦- ذكر الطرماح كثيراً من أنواع نباتات الصحراء وأشجارها، سواء ما كان ينبت في المرتفعات والجبال أو في الارض الرملية والمنبسطات أو في الأودية أو الأراضي الغليظة.
٧- قدم الطرماح صورة تقليدية للمرأة، وإن كان له ميزة فهي المبالغة في إظهار حبه الشديد لها وتعلقه بها وتضحيته وإخلاصه لنيل رضاها.
٨- نلاحظ من ديوان الطرماح عرضه لحيوانات صحراوية كثيرة ما بين طائر وزاحف وحشرة، وهو سيعرضها في أثناء رحيله في الصحراء، مما يؤكد على بداوة شعره وتأثره بالصحراء والبادية بشكل كبير.

**المصادر والمراجع:**


- **القرآن الكريم**

١- د/ بدوي طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة المطبعة الفنية الحديثة، ط٤، القاهرة، ١٩٦٥م.
٢- البغدادي، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٢، ط٢، ١٩٨٩م.
٣- بلاشير: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٤م.
٤- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ج١، ط٤، ١٩٤٨.
٥- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
٦- عبد القاهر الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم / على محمد البجاوي، مطبعة البابي الحلبى، ١٩٦٦م، ص٢١.
٧- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦): جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٦٢م
٨- حسين عطوان: مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.
٩- ابن خلدون: المقدمة، مطبعة دار القلم، بيروت، ١٩٧٨م
١٠-ابن حكيم، الطرماح: ديوانه، تحقيق: د/عزة حسن، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت ،١٤١٤هـ، ١٩٦٢م.
١١-أبو الحسن علي بن عبد الرحمن: عين الآداب والسياسة وزين الحسب والرياسة، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨١م.
١٢- روز غريب: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٥٢، ص ١١٥.
١٣-مقدمة ديوان عمر بن أبى ربيعة: تحقيق محمد محي عبد الحميد، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط٢، ج١، ١٩٧٢.
١٤-الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م.
١٥-ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ج٢، ١٩٥٨م.
١٦- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب: جمهرة أشعار العرب، تحقيق: علي الفاعوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م

١٧- ابن قيم الجوزية: الفروسية المحمدية، تحقيق: زايد النشيري، دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
١٨- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تعريب عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط٥، ١٩٨٣م.
١٩- كولني، يوسف، معجم المصطلحات الجغرافية، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٤م.
٢٠-محي الدين صابر، ومليكة لويس كامل، البدو والبداوة: مفاهيم ومناهج، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦.
٢١-المزرباني، أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٢٢-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، (ت٧١١ه)، لسان العرب، اعتناء: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٣-مي يوسف خليف: القصيدة الجاهلية في المفضليات "دراسة موضوعية وفنية"، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٩م.
٢٤- النويرى، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ج٣، ١٤٢٣هـ.
٢٥- هاشم سعيد عبد الوهاب: دور المعاهد التقنية في مجمتع عربي متغير، المجلة العربية للبحوث التعليم العالي، العدد ٥-٦، ١٩٨٦م